الزمان في شعر أبي همام

مستخلص من رسالة ماجستير بعنوان:

البناء السردي في شعر عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)

Time in the poetry of Abu Hammam, extracted from a master's thesis entitled: Narrative structure in the poetry of Abdel Latif Abdel Halim (Abu Hammam)

إعداد الدراسة

أميرة أحمد عبد اللّه حويحي

طالبة ماجستير بقسم الدراسات الأدبية

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

تحت إشراف

أ.د عبد المنعم أبو زيد مشرفًا رئيسًا

أستاذ بقسم الدراسات الأدبية

د محمد هاشم مشرفًا مساعد

أستاذ مساعد بقسم البلاغة والنقد الأدبي

كلية دار العلوم – جامعة الفيوم

الملخص

يبرز شعر أبي همام كأداة لقراءة أعمق للتجربة الإنسانية، حيث يستخدم الزمن كمرآة تعكس تفاعلات الإنسان مع محيطه ومع ذاته. إن هذا البحث يفتح المجال لدراسات مستقبلية تسعى لاستكشاف جوانب أخرى من شعر أبي همام، سواء كانت متعلقة بالسرد أو بالرمزية أو بالأسلوب.

إن هذا البحث مستل من رسالتي في الماجستير المعنونة بـــ البناء السردي في شعر عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، تطرقت في هذا البحث إلى دراسة الزمان في شعره من خلال تحليل معمق لمفهوم الزمن لغةً واصطلاحًا، وأشكاله المختلفة، وآلياته السردية. تم تطبيق هذا التحليل على نماذج مختارة من قصائده لاستخلاص كيفية توظيفه للزمن كعنصر سردي مركزي في شعره.

وأخيرًا، جاءت الخاتمة لتحوي ما تم التوصل إليه من نتائج، وذيلت البحث بقائمة شاملة للمصادر والمراجع التي استندت إليها في الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السرد- أبو همام- شعر حديث- الزمن

Summary

Abu Hammam's poetry stands out as a tool for a deeper reading of the human experience, as he uses time as a mirror that reflects the interactions of man with his surroundings and with himself. This research opens the way for future studies that seek to explore other aspects of Abu Hammam's poetry, whether related to narration, symbolism, or style. This research is derived from my master's thesis entitled Narrative Structure in the Poetry of Abdul Latif Abdul Halim (Abu Hammam). In this research, I addressed the study of time in his poetry through an in-depth analysis of the concept of time in language and terminology, its various forms, and its narrative mechanisms. This analysis was applied to selected models of his poems to extract how he employed

time as a central narrative element in his poetry. Finally, the conclusion came to contain the results reached, and the research was appended with a comprehensive list of sources and references that were relied upon in the study.

Keywords: Narration - Abu Hammam - Modern Poetry - Time

المقدمة

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على معلم البشرية، سيدنا محمد النبي الأكرم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

وبعد.

فإن الحكم على النص الأدبي بالثراء يرتكز بشكل رئيس على ما يكتنز محتواه من دلالات متجددة مع كل قراءة، وفي هذا السياق فقد لاحظت الباحثة أن النتاج الشعري للدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبي همام) يمثل بيئة خصبة للدراسة، بما يحتويه من بنى سردية، ولغة شعرية رصينة تلفت نظر الباحثين، وتشجعهم للوقوف على ملامح هذا النتاج من مناطق متعددة.

إن شعر أبي همام يحتاج إلى مزيد من الدراسة والتأمل، وعلى هذا الأساس كان منطلق الفكرة البحثية عبر التركيز على أحد جوانب البناء السردي في شعره، والكشف عن أهم التقنيات السردية، ووسائل السرد الموجودة في شعره، وقد اقتصر هذا البحث على تسليط الضوء على الزمان في شعر أبي همام؛ حيث يشكل العمودَ الفقريّ لكل سرد، فكل حركة، وكل كلمة، وكل شعور، يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمرور الوقت، وقد تجاوز الشعر الحديث حدوده التقليدية، فإن كل سرد يعتمد على الزمن لرواية الأحداث متخذًا من الزمن السردي أداة لنسج عوالم جديدة وتعميق التجربة الشعرية.

وفيما يلي أتناول تعريف الزمن لغة واصطلاحًا:

الزمن لغة:

يعرف ابن منظور الزمن بأنه: «اسم لقليل من الوقت أو كثير (...) الزمان زمان الرطب والفاكهة، زمان الحر والبرد (...) والزمن يقع على فصل من فصول السنة، وعلى مدة ولاية الرجل وما أشبهه.

وأزمن بالشيء: طال عليه الزمن، وأزمن بالمكان أقام به زمانًا[1]"

الزمن اصطلاحًا:

يُعدّ الزمن أحد العناصر المكوِّنة للرواية؛ إذ إنه القطب الأحادي الذي تستند به حلقات النصوص الحكائية، فالأحداث تسير في زمن، والشخوص تتحرك في زمن، والفعل يقع في زمن، والحرف يُكتب ويُقرأ في زمن، ولا نص دون زمن.

ويُقصد بالزمن: «مجموعة العلاقات الزمنية، السرعة، التتابع البعد... إلخ، بين المواقف والمواقع المحكية، وعملية الحكي الخاصة بهما، وبين زمن الخطاب والمسرود والعملية السردية»[2].

إن وشائج الصلة بين الشعر والرواية تظل حاضرة عند الحديث عن الزمن لاشتراكهما الطابع الحكائي، وعلى الرغم من حضور عنصر الزمن في النص الأدبي شعرًا ونثرًا، فإن الوقفات في العمل الروائي قد تطول كثيرًا، بخلاف الشعر الذي يعتمد التكثيف على مستوى اللغة أو المشاهدة، غير أن جوهر الزمن يبقى حاضرًا، وذلك يؤكد فكرة تداخل الأجناس الأدبية في النص الشعري.

ويُعد الزمن عنصرًا مهمًّا من عناصر الوجود؛ إذ إنه لبنة مهمة من لَبنات التصور الذي نأخذه في اعتبارنا فيما يتصل بتشكيل الزمن من حولنا، انطلاقًا من طبيعة التقسيم الثلاثي للزمن، فنحن ننظر إليه باعتباره زمنًا ماضيًا وحاضرًا ومستقبلًا، وأنه يسير ضمن هذه الحلقات المتوالية من الوجود نفسه.

وتأتي المدة الزمنية والاستغراق الزمني، كما تسمى في مستويات السرد، ضمن مستويات الخلاصة، وهي تلخيص لأحداث الرواية أو القصة، وضدها الاستراحة، القطع والحذف، ويكون ذلك عبر السكوت عن ذكر بعض الأحداث، والتجاوز عن مدتها الزمنية، في حين أن الزمن يأتي متساويًا بين زمن السرد والزمن الطبيعي، ضمن ما يسمى بالمشهد، فهذه المكونات تشكّل مجتمعةً تقنيات عامة لدراسة السرد الزمني في أي نصّ سردي ما.

ويمكننا القول إنه لا يمكن دراسة العمل الفني من جهة السرد دون النظر إلى مكونات السرد المختلفة، خاصة تلك التي ترتبط بالزمن، فالزمن إطار عام تسير فيه الأحداث، وهو وعاء لها، وإنّ الفنان المبدع هو القادر على تصور تلك الأحداث، وتنظيمها ضمن سلسلة زمنية متناسبة مع طبيعة سير تلك الأحداث، ومواكبة لعناصر الزمن المختلفة، مستغلًّا في ذلك مكونات السرد الزمني، من استرجاع[٣]، واستباق[٤]، وخلاصة[٥]، ومشهد[٦]، واستشراف[٧]، فهذه العناصر السردية الزمنية جميعها تمنع الخلخلة في سرد الأحداث زمنيًا، وتجعل من تلك الأحداث هيكلًا حكائيًّا زمنيًّا معتمدًا على المفارقة في مستواه العام[٨].

أنواع الزمن:

– **زمن القصة (الحكاية)**: ويقصد به زمن وقوع الأحداث المرويّة في القصة، فلكل قصة بداية ونهاية[٩]، وهو "يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث"[١٠].

– **زمن السرد (الخطاب)**: وهو: "الزمن الذي يقدّم من خلاله السارد القصة، ويكون بالضرورة مطابقًا لزمن القصة[١١]، أو أنه «الزمن الذي يستغرقه تقديم الجزء المسرود"[١٢].

– **زمن القراءة**: ويُعنى به "الزمن الذي يصاحب القارئ وهو يقرأ العمل السردي"[١٣].

والزمن في مفهومه الأدبيّ آليّة مهمّة، لها أبعاد وظيفيّة وجماليّة، فهو يشكّل أداة فنيّة في العمق الشعريّ، يشكّل بها الشاعر منجزه الفنيّ، فيجسّد مشاعره وأحاسيسه ومادته الأدبية والشعريّة الخام؛ إذ تعد الأزمنة وما تحويه من أحداث مثارة منبعًا يستلهم منه الشعراء ضوءًا لبناء عملهم الشعري، أما على المستوى السردي، فإن الزمن يجمع بين زمن الحكاية الذي حدثت فيه القصة، وزمن السرد الذي كتبت فيه هذه الحكاية؛ حيث يقوم الروائي على لسان السارد بالتلاعب في النظام الزمنيّ للحكاية، فالزمن الأدبي لا يفترض احترام تسلسله الزمني "فالإمكانات التي يتيحها التلاعب بالنظام الزمني لا حدود لها، وذلك أن الراوي قد يبتدئ السرد في بعض الأحيان، بشكل يطابق زمن القصة، ولكنه يقطع بعد ذلك السرد، ليعود إلى وقائع تأتي سابقة في ترتيب زمن السرد عن مكانها الطبيعي في زمن القصة"(١٤).

فالسارد يقطع وتيرة النظام الزمني المتسلسل، ليسترجع الأحداث الماضية، أو قد يستبق الأحداث في السرد بحيث يتعرف على وقائع الأحداث قبل وقوعها.

آليات الزمن السردي:

أولًا: الاسترجاع:

هو أحد آليات الزمن السردي الذي يستطيع به الكاتب أو السارد أن "يؤلف نوعًا من الذاكرة القصصية التي تربط الحاضر بالماضي، وتفسره وتعلله، وتضيء جوانب مظلمة من أحداثه، ومسارات هذه الأحداث في امتداداتها أو انكساراتها، واسترجاع الماضي إيقاف للسرد المتنامي للعودة إلى الوراء"(١٥)، فالرجوع إلى حقبة زمنية إلى الوراء، يصاحبها التذكر المرتبط بالفعل الماضي، الذي ينقّب عن القديم والرجوع إلى فترة سابقة، هو استدعاء للزمن الماضي الذي هو بمثابة مرجع يعود إليه السارد، لتوضيح شيء ما يرد في الحاضر، لذلك اتسم الاسترجاع بعدة وظائف؛ منها:

أ- إعطاء معلومات عن ماضي عنصر من عناصر الحكاية (شخصية - إطار - عقدة).

ب ـــ سدّ ثغرة حصلت في النص القصصي، أي استدراك متأخر لإسقاط سابق مؤقت، ويسمى هذا الصنف اللواحق المتمّمة أو الإحالات.

ج- تذكير بأحداث ماضية، وقع إيرادها فيما سبق من السرد، أي عودة السارد بصفة صريحة أو ضمنيّة إلى نقطة زمنيّة، وردت من قبل، ويسمى هذا الصنف باللواحق المكرّرة والتذكير(١٦).

ويتشكّل الاسترجاع "من مقاطع استرجاعية، تحيلنا على أحداث تخرج عن الحاضر لترتبط بفكرة سابقة على بداية السرد، أي استرجاع حدث سابق عن الحدث الذي يحكى، ورواية هذا الحدث لحظة لاحقة لحدوثه"(١٧).

وفي الأغلب يأتي الاسترجاع مرتبطًا بالفعل الماضي، حيث الذكريات التي تعود بالنصّ الشعريّ إلى أعماق الماضي ومجرياته.

يقول (أبو همام)(١٨):

وحْدَكَ أَمسيت، لا تميد، وقد
أَخْلَدْتَ للحادِثاتِ مُطَّرَحًا
رأيتُ فيك الأغصانَ مائِسَةً
وشاديًا في هَواكَ، ما بَرِحا
وزهرة في الربيع عاطرة
والورَقَ النَّضْرَ، هامسًا، مَرِحا

يستهل الشاعر قصيدة (مقعد حزين) بالعودة -في حديث داخلي مع النفس- إلى الماضي، فيصوّر وحدته واستسلامه، فكلمة **وحدك** تُؤكّد على عزلته، بينما يشير الفعل **أمسيت** إلى ديمومة هذا الشعور، وعبارة **لا تميد** تُعبّر عن صمود المتكلم أمام الأحداث، بينما تُشير عبارة **أخلدت للحادثات** إلى قبوله السلبي لمصيره.

ويستمر الشاعر في سرد الماضي ويتنقّل في أحداثه، فيذكر ما لاقاه من الحب الذي كسر عزلته وأبصره جمال الطبيعة من حوله، فكان زهرته العطرة في الربيع، والجمال النضر الباعث على البهجة والحياة.

عدتُ، وعادت إليكَ شادية
الحب تردُّ الفُؤَادَ مُنْشَرحًا
نَبْتعثُ الأَمْسَ من مَراقِدِه
والحاضرُ المُرُّ نازفٌ تَرَحا
فَمِقْعد يابس، ومُضْطَرب
للحبْ إِنْ سَرَّ أَمسُهُ جَرَحا(١٩)

وبعد هذا الاسترجاع يعود الشاعر إلى الحاضر ليخبر عن حبه وصداه في نفسه، فيُظهر شوقه وفرحته بذلك الحب، كما يُعبّر عن تناقض مشاعره، فهو يشعر بالسعادة والألم في الوقت نفسه، فالحب يُسعده ولكنه يُسبّب له أيضًا الجراح.

وفي قصيدة ضوء القمر في المقابر يقول(٢٠):

تدورُ ما شِئْتَ، مَا اكْتَرثَتْ بما
تلقاه من عامر، ومن خرب
تضيء دارًا، ما عاد ساكِنُها
يَهْتَزُّ مِن نَشوة، ومِن طرب
حسْبُهُمُ راحةً، فَقَدْ هَجعتْ
نُفوسهم من شَاتِ مُغترب
وأَنَّ ذِكْري الأحباب، ما هَمست
فيهم بغَيْر النسيان، والهرب

يتأثر الشاعر بمفارقة الأحباب الذين رحلوا عن هذا العالم ولم يعد سبيل للعيش معهم، إلا باسترجاع تلك الذكريات التي لا ترجعهم ولا تشفي صدى الشاعر، فهُم قد سكنت نفسهم ذلك العالم البعيد، ونفس الشاعر إذ غلبت عليه مما وجدته من حزن تدفعه إلى استرجاع أحداث الفراق وما حل بالأحباب، وهو ما ينعكس على الشاعر؛ إذ يعود إلى الحاضر فيصور حالهم في القبور بألفاظ بالغة الحزن، فهُم ليسوا متأثرين بما يطرأ على عالمنا من تغيّرات زمنيّة وحسيّة، فلا ليل يشعرون به، ولا نهار، كما نشعر نحن، كذلك ضوء الشمس الذي ينير الدنيا في هذا العالم ليس ذا بال يذكر، فجاءت ألفاظ الشاعر موحية بغرابة وغموض ذلك العالم.

لا الليلُ ليلٌ، ولا صباحهمُ

صبحٌ، ولا في الضياءِ من أربِ[٢١]

ويقول أبو همام في قصيدته بين شاعرين[٢٢]:

ليس لدى الحادثات طارفة

لم أَبْلُها في الزمان قد غَبَرا

فمقبلُ الغَيْبِ رُؤْيَةٌ عَبَرَتْ

لمسته ظاهرًا، ومُسْتَتِرا

يبدأ أبو همام -كما تكرر في مطلع قصائده- بالعودة إلى الزمن الماضي ليستشهد ويثبت لصديقه الشاعر أحمد درويش أنه ممتلئ بتجارب شتى، قد مرّ عليها في ماضيه، حتى أنه لا تكاد تجد ما لم يلاقه، فكأن الأيام المقبلة عليه -وهي ترميه بما قد عالجه قبل ذلك- تعيد عليه ماضيه الحافل بالصعاب والشدائد، فكأنه، بما مر به، قد اطلع على الغيب الذي ستكشفه الأيام لغيره فيما هو آت.

يستعيد الشاعر بعض ذكرياته في قصيدة "العودة إلى القرية"، فيقول[٢٣]:

عَلَى أَفيَاءِ قَرْيَتِيَ الَّتِي مَازَجْتُهَا طِفْلا

أُسَابِقُ طَيْرَهَا الشَّادِي وَأَقْطِفُ حُسْنَهَا ظِلَّا

أَطَرِّزُ شَمْسَها ثَوبًا وَأَحْصَنُ بَدرَها لَيْلَا
وَأَبْنِي مِنْ مَهيلِ التُّربِ أَبْيَانًا لأَفْكَارِي
وَأَحطَّمُ فِي طَرِيقِيَ كُلَّ مَا شَاءَ الهَوى الجَارِي

تتناثر ذكريات الشاعر في قريته في مختلف أرجائها، فالشاعر كأنه كان يستمتع بكل شيء فيها، فكان يلهو في ظلالها ويسابق طيرها، لا يحدّه عن التمتع بها ليل ولا نهار، وقد شهدت القرية مهد أحلامه وطموحه، فكان يصنع بيوتًا بتراب القرية من مخيلته، وكان لاهيًا إلى حد لا يتخيل أن يقطعه شيء، فكأن كل ما في القرية لهُو متعة صافية لهذا الصبي.

وَيَمْضِي بِي سُرَى الأَيَّامِ حَتَّى شَبَّ بِي زَمَنِي
وَأَهْجُرُ قَرْيَتِي، وأَسِيرُ حَيْثُ يَجُرُّنِي ظَعَنِي
عَلَى أَرضِ المدينةِ عِشْتُ، مَا أَقْسَى ثَرَى المدُنِ
أَجُرُّ العُمْرَ عُريانَ الخَواطِرِ، تَائِه الخَطو[٢٤]

هنا تسير رحلة الشاعر في الحياة وانتقاله من قريته إلى المدينة. وكيف أثر فيه مرور الزمن فكبر مع الأيام. فيتحدث عن هجرته من قريته الحبيبة والسير في الحياة نحو المجهول، وينتهي به الترحال إلى مدينة يجدها مختلفة تمامًا عن قريته. تلك التي كان يشكل ترابها حيث شاء، وكانت الأرض جزءًا من خياله وأحلامه. لكنه في المدينة، يواجه ترابًا قاسيًا، مما يجعله يتخلى عن أحلامه ويتجرّد من خواطره، ويشعر بالتيه في هذا المكان الذي ينافي فطرته.

إِلى دِفءِ الطُّفُولَةِ عُدتُ أُدْنِي ثَلْجَ أَيَّامِي
رَبِيعٌ يَغْرِس الأَنْدَاءَ بَيْنَ قِفَارِ آلامي
أُعَانِقُ فِيْهِ طَيْفَ طُفُولَتِي النَّشْوَى وَأَنْغَامِي[٢٥]

يعود الشاعر مرة أخري لقريته لاسترجاع الذكريات من جديد، والعودة بالزمن؛ ليقارن ماضيه بحاضره، فيتذكر دفء طفولته الذي يرجوه أن يعالج أيامه

الباردة، تلك الطفولة التي هي كالربيع ذي الندى، ويرجوه أن يغيّر أيامه المصحرة، ويستذكر في ذكريات الطفولة ذات الحيوية والبهجة.

ثم يروي الشاعر رحلة أخرى في ماضيه في قصيدته "كان لي قلب"، تختلف هذه القصيدة، حيث جعل الشاعر محبوبته هي من تحنّ إلى الماضي وتبعثه على الحنين له، فيقول(٢٦):

جِئْتِ لِي يَومًا، وَفِي عَيْنَيْكِ وَمْضٌ مِنْ حَنِينْ
يَبْعَثُ الرَّاقِدَ فِي الْأَعْمَاقِ مِنْ مَاضِي السِّنِين
تنبشين القَلْبَ عَنْ مَاضِيهِ، وَالمَاضِي قَرِيبٌ
سَفَعَتْهُ الشَّمسُ ، فانسلَّ إِلَى كَهْفِ الشُّحُوب
ذَاتَ يَومٍ كَانَ لِي قَلْبٌ، وَلِي قَصَّةُ حُبٍّ
شَاعِرًا أَقْطِفُ ضَوءَ الشَّمْسِ مِنْ شَرقٍ وَغَرْبِ
أَخْرَسُ البَسْمَةِ والأَشْواقِ فِي مَوتٍ وَجَدْبِ
وَأُحِبُّ النَّاسَ كُلَّ النَّاسِ والكَونَ بِقَلْبِي
ثُمَّ ضَلَّ القَلْبُ مِنِّي ذَاتَ يَومٍ فِي الزَّحَام
حلوة مثلُكَ أَردَتْه عَلَى رِجْسِ السَّوَام

يخاطب الشاعر محبوبته مذكّرًا إياها بما حملته عليه من استذكار الأحداث القديمة التي كانت راقدة في أعماق الذكريات، فهي التي تحاول أن تستخرج الذكريات وتستعيدها من الماضي، غير أن الشاعر يشير إلى بعد منالها عنها، إذ إن الضربات التي تلقّاها في الماضي تركته شاحبًا، ولا ينكر الشاعر حبه في الماضي، فهو من عايش قصة الحب بوجدانه، مستمتعًا بيومه من أوله لآخره، وكان ذلك الحب يجعل له أملًا دائمًا يزرعه في الأوقات المؤلمة، فكان قلب الشاعر منفتحًا على الدنيا، وبسبب ذلك الحب أصبح محبًا للناس كلها بل للكون كله، ثم يعلل الشاعر نهاية قصة الحب هذه بغدرة المحبوبة التي أردته صريعًا.

ثانيًا: الاستباق/ أو الاستشراف:

هو استشراف ما يقع في المستقبل من أحداث، وتناول تلك الأحداث؛ إذ هو "القفز على فترة ما من زمن القصة، وتجاوز النقطة التي وصلها الخطاب لاستشراف الأحداث، والتطلع إلى ما سيحصل من مستجدات في الرواية[٢٧]، ويأتي الاستباق مفتوحًا على المستقبل الآتي؛ إذ ينتهي زمن السرد ويظل الاستباق معلقًا، ويكون تعلقه مرهونًا بمعطيات الواقع الحاضر.

يقبل الشاعر على قادم الأحداث كأنه متلهف لما هو آت، متعجلّ حدوثه، فيتخطى الحاضر إلى المستقبل الذي سيقابل فيه محبوبته، ويصف الشاعر ذلك اللقاء الذي يتمناه قلبه المتشوق له، ويعدّ له الكلمات التي تشع بما يشعر به، فيستجلب أشواقه ويكافئ كل ما صحبه في رحلة الحب: الليل والصبح والذكرى، التي يصورها الشاعر كأنها رفقاؤه الذين مرّوا معه بكل مراحل الشدة، حتى تم له ما أراد، فيعانقهم بنشوة المحب المنتصر، وكعادة المحبين يبحث الشاعر عما يتغنّى به لمحبوبته التي تأتيه في ثياب وردية تلائم حالة العشق التي يرجوها، فيحاول أن يكتب لها أغنية خاصة من خياله ثم يهديها لها.

يقول الشاعر في قصيدة "الكلمات الميتة"[٢٨]:

غدًا تأتي، وآلافٌ من الكلماتِ مؤتلقة
وأمنية تسابق قلبي المقروحَ منطلقة
وأسأل قلبي اللهفانَ عن أشواقِهِ الحَيرَى
أعانق ليلي المسكين، والإصباح والذكرى
وأنسج من خُيوطِ الوَهْم أغنية أغنيها
إِذَا مَا أَقْبَلَتْ فِي ثَوبها المُوَردِيّ أَحْكِيهَا

وحين يعود الشاعر للحاضر ويحدُث اللقاء الذي يرتقبه، يأتي اللقاء على غير ما يرجو.

وَيَأْتِينِي غَدِي، يَا وَيلتِي ذَبُلَتْ أَزَاهِيرِي
أُقابِلُهَا ، فَلَا أَسْتَلُّ غَيْرَ سُكونِ مَقْبُورِ
وتُدفَنُ كِلْمَتِي الخَرسَاءُ طَيّ فُؤَادِيَ الدَّامِي
وَأَرجِعُ يحصد اليأسُ الضَّرِيرُ مَسِيرَ أَقدَامِي[٢٩]

فالشاعر لم ينطق بآلاف الكلمات البرّاقة، و لم يغنِّ أغنيته التي ألّفها من خياله، فيبدو أن ذلك اللقاء تأخر حتى خملت دواعي الحب في نفس الشاعر، فأصبح لقاءً جافًّا لم يُبح فيه الشاعر بغير الصمت، فكلماته التي كان يفيض بها قلبه قد دُفنت فيه، ويراها كلمات خرساء؛ لأنها لم تخرج إلى من يريد في النهاية، فسيطر على الشاعر اليأس، ما قيده عن السعي الذي تعود عليه وألفه.

ثالثا: الحذف:

يعدّ الحذف من الآليات الزمنية التي تسرِّع السرد؛ حيث يقفز السارد بين فترات مختلفة في طولها وقصرها، متجاوزًا بذلك أحداثًا ووقائع، فهنا يسكت السارد عن تناوله الفترة المحذوفة ويشير – أحيانًا – إليها؛ كقول السارد: مرت سنة أو مرّت عشر سنين أو مرّت أيام، وهذا ما يعرف بالحذف المعلَن فـ "الحذف المعلن يترك جزءًا من القصة مسكوتًا عنه في السرد بالكامل، أو أحيانًا يكون مشارًا إليه بعبارات زمنية مثل: مرت أيام عديدة، أو بعد سنة أو سنين (...) إلخ من العبارات التي تدل على الإلغاء الحكائي"[٣٠].

وللحذف تسميات متعددة، منها: القفز، الثغرة، الإضمار، القطع.

رابعًا: المشهد (الحواري):

يُعرف المشهد الحواري بأنه "واحدة من السرعات السردية الأساسية، وحينما يكون هناك نوع من التكافؤ بين جزء من السرد وبين المسرود الذي يمثله، كما في الحوار مثلًا، وحين يعتبر زمن الخطاب مساويًا زمن القصة فإننا نحصل على المشهد"[٣١].

فالشرط الرئيس الذي لابد أن يتوافر في المقطع السردي ليكون مشهدًا هو: « حالة التوافق التام بين الزمنية، ولا يمكن لهذه الحالة أن تتحقق إلا عبر الأسلوب المباشر وإقحام الواقع التخييلي في صلب الخطاب".

كما يُعرف المشهد في بعض الدراسات النقدية بأنه: «ذلك اللون من المساواة بين الجزء السردي والجزء القصصي ليخلق حالة التوازن.

ويعرف أيضا بأنه «المقطع الحواري الذي يتم في تضاعيف السرد، إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق.

ومنه فالمشهد أحد وسائل الراوي في إبطاء السرد، والمعادلة الزمنية في المشهد الحواري تأخذ شكل التوازي بحسب رمزية " جنيت " زمن القصة زمن السرد.

خامسًا: الوقفة الوصفية:

الوقفة الوصفية آلية وتقنية زمنية يلجأ إليها الراوي من أجل تعطيل السرد وإبطائه و "يمكن أن تحدث الوقفة نتيجة للقيام بالوصف أو التعليقات الهامشية، وتتحقق الوقفة عادة "بإبطاء السرد من خلال الوصف، ويكون فيها زمن القصة أكبر من زمن الحكاية بصورة واضحة، وتكون الوقفة الوصفية ذات كتابة مطلقة، لأنها تستند على فاعلية تعطيل الزمن السردي، من خلال تَعداد ملامح الأشياء وخصائصها"(٣٢).

سادسًا: التلخيص:

وتسمى هذه الحركة الزمنية أيضا بـــ " المجمل"، و" الإيجاز"، وفيها "تقدم مدة غير محددة من الحكاية ملخصة بشكل توحي معه بالسرعة" وقد عرّفها قاموس السرديات بأنها "الجزء من السرد الذي يلخصه ويحيط بفكرته الرئيسية أو هدفه الرئيسي، فإذا كان السرد يتعلق بسلسلة من الأجوبة على أسئلة معينة فإن التلخيص هو الذي يؤلف الأجوبة على هذه الأسئلة".

ويمثل التلخيص حركة سردية، يقوم الراوي من خلالها بإحداث تسريع على ما يرويه من أحداث، فيختزل زمن القص ليكون أقل من زمن الحكاية، فيسرد "أحداثًا ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"، فينتج عن ذلك عدم التوافق بين زمن الحكاية الذي يبدو طويلًا واتساع لزمن القصة الذي يكون في الغالب قصيرًا يختصر في جمل موجزة.

سابعًا: الخلاصة:

وفيها يسرد الشاعر خلاصة أحداث مر بها في فترة زمنية مهمة في حياته، حيث أصاب مفرق رأسه الشيب، حتى أصبح يعتقد مشاعر الحب في داخله تنطفئ شيئًا فشيئًا، فهو يرى نفسه مقبلًا على أعراض خريف العمر، لا سيما وقد تجاوز الأربعين، فيذكر الشاعر في قصيدته "لقاء"(٣٣):

بعْدَ سنين، هواتف تَصْبو
وقد تهادى بمفرقي شَيْبٌ
حسبْتني، والسنون جائحة
أن الهوى في جوانحي يخبو
وأنَّني جِذْعُ سَنْطَةٍ، يَبست
وللبلى في لحائها نَهْبُ
وتهدمُ الأَرْبَعونَ أَرْوِقَةَ
العَمْرِ وَشَيئًا، ويسكنُ الجَنبُ

فتستمر تلك الحالة لدى الشاعر التي تصيبه بالخمول وتكاد تتجه به نحو شيخوخة عزمه وشعوره، كما ظهر من الشيب في رأسه، إلا أن هذه الحالة تتغير بلقاء الشاعر محبوبته، فيستطيع التخلص من تلك الآثار، فتجري أوردته ممتلئة بالحنين، وينبض قلبه بالحب، فكأن الشاعر يعود بنفسه لا بذكراه إلى شبابه مندفعًا

بعنفوانه الذي كان يفتقده، حتى الشيب، فكأن الشاعر -بعدما استعاد حيويته- أصبح لا يراه، وصوّره بالثلج الذي يترل على رؤوس الجبال فترة، ثم سرعان ما يذوب ويزول!

حَتّى التقينا، فاهْتَزَّ أَوْردةٌ
يَدْفَقُ فيها الحنين، والحُبُّ
وأضحتِ الأربعونَ، يَدفعها
إلى الصِّبا، مورِدٌ لها عَذبُ
وَانْتَفَضت في الفؤادِ صَبْوتُهُ
ولم يعُدْ بَينَ مَفْرقي شَيْبُ

ويقول الشاعر في صدر قصيدة "العودة إلى القرية"[٣٤]:

مَضَتْ أَعْوَامُنَا لم نَدْرِ كَيفَ تَسُوقُنَا الدُّنْيَا
نُطَاوِعُها كَأَنعَام تَرُومُ الأَكْلَ وَالسُّقْيَا
فَلَا نَختَارُ أَنْ نَفْنَى وَلَا نَخْتَارُ أَنْ نَحْيَا

يروي الشاعر خلاصة تجربته في هذه الأبيات الثلاثة، فيلخص الفترة التي قضاها بعيدًا عن قريته في مدينة كبيرة سريعة الخطى، فكأنها تجري بمَن فيها، فتستهلك أعمارهم، وهم يجرون فيها خلف حاجات معيشتهم، كأنها شغلتهم بهذا عن الاستمتاع بحياتهم، فيشبّه الشاعر نفسه ومن معه في هذه الحياة بالأنعام التي لا تجري ولا تسعى إلا لأكل وشرب، فلا تحاول الأنعام أن تضحي بنفسها لغاية تراها، أو تحيا حياة تختارها.

أيضًا كانت قضية القدس حاضرة في وجدان الشاعر، وفي قصيدته "أغنية إلى القدس" حاول أن يوجز قصص حِقبٍ توالت على هذه المدينة المقدّسة، فقال في مطلعها[٣٥]:

مِنْ أَلْفِ عَامٍ، والسَّنَا يَرقُصُ فِي ثَرَاكِ

وَتَسبَحِينَ فِي الشّعَاعِ غَامِرًا حِمَاك
حَبِيبَتِي عَينُكَ تَنْدَى بِالحَنِينِ العَامِرِ
مِن نَعَمِ المَاضِي يَزِيدُ اليَومَ جُرحِ الحَاضِرِ

فالمدينة البرّاقة ذات التاريخ العتيق والأجواء التي أطربت الضوء الذي كان يغمرها أصبحت باكية، تحنّ لذلك الماضي التليد، تستجير من ظلم الحاضر الذي جحدها وسلبها رونقها وبهاءها.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث، يمكننا أن نستخلص العديد من النقاط الهامة حول دور الزمن في شعر الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبي همام). تبين من خلال التحليل أن الزمن يشكل عنصرًا جوهريًا في بناء النص الشعري لأبي همام، حيث يستخدمه ليس فقط كإطار للأحداث ولكن أيضًا كوسيلة لنسج تعابير جديدة وتعميق التجربة الشعرية.

لقد أظهر البحث كيف أن الزمن في شعر أبي همام ليس ثابتًا، بل يتسم بالمرونة والديناميكية، مما يعكس تعقيدات المشاعر الإنسانية وتفاعلاتها مع مرور الوقت. كذلك، فإن استخدام أبي همام للزمن يعكس تجربته الشخصية ورؤيته الفلسفية حول الحياة والموت، الماضي والحاضر، والذكريات والأمل.

من خلال هذا التركيز على الزمن، يبرز شعر أبي همام كأداة لقراءة أعمق للتجربة الإنسانية، حيث يستخدم الزمن كمرآة تعكس تفاعلات الإنسان مع محيطه ومع ذاته. إن هذا البحث يفتح المجال لدراسات مستقبلية تسعى لاستكشاف جوانب أخرى من شعر أبي همام، سواء كانت متعلقة بالسرد أو بالرمزية أو بالأسلوب.

وفي النهاية، يمكن القول إن شعر أبي همام يتطلب قراءة متأنية ومستمرة، فهو يشكل بحرًا زاخرًا بالدلالات والمعاني التي تحتاج إلى استكشافها وتفسيرها من مختلف الزوايا الأدبية والنقدية.

المراجع:

- إبراهيم الجنداري، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، ط ١، ٢٠٠١م.
- أسيل أحمد سلمان العبيسات، وأحمد صالح عيسى الزعبي، البناء السردي في شعر السياب: قصيدة ذهبت أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٢٠م.
- جيرالد برانس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٣.
- حسن، بحراوي، بنية الشكل الروائي، ط ١، المركز الثقافي العربي. ١٩٩٠م.
- حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ط ٢، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م
- سمير القاسم وشاكر جميل، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقًا، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، د ـــ ت.
- عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠١١م.
- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨
- عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا سلسلة الدراسات (٢) ٢٠٠٨ م.
- فاطمة سالم الحاجي، الزمن في الرواية الليبية، ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه نموذجًا، ط ١، الدار الجماهيرية للتوزيع والنشر والإعلان، ١٩٨٨م.
- محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف الجزائر، ط ١ ٢٠١٠م.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـــ.

الهوامش والإحالات

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ، ص: ١٩٩/١٣.

(٢) جيرالد برانس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٣، ص ٢٣١.

(٣) الاسترجاع تقنية سردية يستخدمها الكاتب للعودة إلى أحداث سابقة في القصة لإعطاء القارئ خلفية أو تفسير لبعض الأحداث الحالية، ويساعد في توفير معلومات ضرورية عن الشخصيات أو الأحداث التي تؤثر على القصة الحالية، وتضيف عمقًا وتعقيدًا للسرد.

(٤) الاستباق: تقنية سردية تشير إلى أحداث مستقبلية قد تحدث لاحقًا في القصة، مما يخلق توقعات أو توترات عند القارئ، ويساعد في بناء التوتر والإثارة، ويعزز ترابط القصة عبر إعطاء تلميحات خفية لما سيحدث لاحقًا.

(٥) الخلاصة: هي تقديم موجز للأحداث أو المشاهد الرئيسية في القصة دون الخوض في تفاصيل دقيقة، وتساعد في تسريع وتيرة السرد وتقديم نظرة عامة على الأحداث التي قد تكون أقل أهمية بالتفصيل لكنها ضرورية لفهم القصة ككل.

(٦) المشهد: هو جزء محدد من القصة يحدث في مكان وزمان معين، وغالبًا ما يتضمن تفاعلًا مباشرًا بين الشخصيات، ويساعد في إحياء القصة، ويعطي القارئ شعورًا بالتواجد في اللحظة، ويعزز الفهم العاطفي والشخصي للشخصيات والأحداث.

(٧) الاستشراف: تقنية سردية يستخدمها الكاتب لتقديم الأحداث المستقبلية كما لو كانت تحدث في الوقت الحالي أو للتنبؤ بما سيحدث لاحقًا في القصة، ومن خلالها يتم تعزيز الاهتمام بالحبكة وتوفير رؤية مبكرة لما يمكن أن يكون نقطة تحول رئيسية في القصة.

(٨) العبيسات، أسيل أحمد سلمان، وأحمد صالح عيسى الزعبي، البناء السردي في شعر السياب: قصيدة ذهبت أنموذجا، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ٢٠٢٠م، ص: ٢٠.

(٩) محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، منشورات الاختلاف الجزائر، ط ١ ٢٠١٠ م، ص٨٧.

(١٠) حميد الحميداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان الدار البيضاء، المغرب، ط ١، ١٩٩١ م، ص ٧٣.

(١١) محمد بوعزة، تحليل النص السردي تقنيات ومفاهيم، ص ٨٧.

(١٢) جيرالد برانس، المصطلح السردي، تر: عابد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط ١، ٢٠٠٣ م، ص٦.

(١٣) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، العدد (٢٤٠)، الكويت، ١٩٩٨، ص ١٨٠.

(١٤)حميد لحمداني، بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، ص ٤٥، ط ٢، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٣م، ص٧٤

(١٥) إبراهيم الجنداري، الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، بغداد، ١، ١٠٦، ط ١، ٢٠٠١م.

(١٦) سمير القاسم وشاكر جميل، مدخل إلى نظرية القصة تحليلاً وتطبيقًا،٨٢، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية، د ــ ت.

(١٧) إبراهيم الجنداري، المرجع السابق، ١٠٤.

(١٨) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠١١م، ص ٢٩٢

(١٩) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٩٣

(٢٠) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٩٤

(٢١) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٢٩٤

(٢٢) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٠٠

(٢٣) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٦٤

(٢٤) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٦٥

(٢٥) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٦٦

(٢٦) عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٤٠٨

[٢٧] حسن، بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص ١٣٢، ط ١، المركز الثقافي العربي. ١٩٩٠م.

[٢٨] عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٥٦

[٢٩] عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٥٧

[٣٠] فاطمة سالم الحاجي، الزمن في الرواية الليبية، ثلاثية أحمد إبراهيم الفقيه نموذجًا، ص ١٥٩، ط ١، الدار الجماهيرية للتوزيع والنشر والإعلان، ١٩٨٨م.

[٣١] جيرالد برانس، المصطلح السردي، تر عابد خزندار، ص ٢٠٣ ٢٠٤.

[٣٢] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا سلسلة الدراسات (٢) ٢٠٠٨ م، ص١٣٦

[٣٣] عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٢٠

[٣٤] عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٦٤

[٣٥] عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)، الأعمال الشعرية الكاملة، ص ٣٨١